كتاب

"حاشية ابن عابدين"

المعروف باسم

"رد المحتار على الدر المختار."

مقدمة تعريفية

تُعدّ **حاشية ابن عابدين**، واسمها الكامل **"رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار"**، من أهم وأشهر الموسوعات الفقهية في المذهب الحنفي، بل هي المرجع الأساسي المعتمد للفتوى في المذهب عند المتأخرين. جمع فيها مؤلفها خلاصة ما دُوّن في المذهب الحنفي على مدار قرون، مع التحقيق الدقيق والترجيح المتقن.

المؤلف

هو الإمام العلامة الفقيه **محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي** (1198هـ - ١٢٥٢ هـ / ١٧٨٤ م - ١٨٣٦ م).
وُلد وعاش وتوفي في دمشق، ويُعتبر من أبرز فقهاء الحنفية في عصره، حتى لُقّب بـ **"خاتم المحققين"**، دلالة على إتقانه وعمق علمه في الفقه.

طبيعة الكتاب ومنهجيته (شرح على شرح)

لفهم طبيعة الكتاب، يجب معرفة التسلسل العلمي الذي بُني عليه:

١. **المتن (النص الأصلي):** هو كتاب **"تنوير الأبصار وجامع البحار"** للإمام شمس الدين محمد بن عبد الله التُمُرتاشي الغزي (ت. ١٠٠٤ هـ). وهو متن مختصر جامع لمسائل المذهب.

٢. **الشرح (الشرح على المتن) :**هو كتاب **"الدر المختار شرح تنوير الأبصار "**للإمام علاء الدين محمد الحَصكَفي (ت. ١٠٨٨ هـ). قام فيه بشرح متن "تنوير الأبصار" وتوضيح مسائله.

٣. **الحاشية (شرح على الشرح) :**هو كتاب **"رد المحتار على الدر المختار "**للإمام ابن عابدين. وهو حاشية ضخمة ومفصلة على شرح الحصكفي.

منهج ابن عابدين في حاشيته:

لم يكتفِ ابن عابدين بشرح ما غمض من عبارات "الدر المختار"، بل اتبع منهجاً علمياً دقيقاً جعله موسوعة فقهية متكاملة، ومن أبرز معالم منهجه:

- **التوضيح والبيان :**يشرح العبارات الغامضة ويفكك المصطلحات الصعبة في "الدر المختار."
- **إضافة القيود والشروط :**يضيف الشروط والقيود التي أغفلها صاحب "الدر المختار" أو "تنوير الأبصار" لإتمام المسألة الفقهية.
- **الاستدلال والتعليل :**يذكر الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة المذهب لترسيخ المسائل.
- **نقل الأقوال المختلفة :**ينقل الروايات والأقوال المتعددة داخل المذهب الحنفي في المسألة الواحدة.
- **الترجيح وتحديد المفتى به :**وهذه هي أهم ميزة في الكتاب، حيث يقوم بالموازنة بين الأقوال المختلفة ويحدد القول الراجح والمعتمد للفتوى، وهو ما جعل كتابه العمدة في هذا الباب.
- **التصحيح والاستدراك :**يصحح بعض الأوهام أو الأخطاء التي وقعت في كتب من سبقه من الفقهاء.
- **النقل الواسع :**ينقل عن مئات المصادر المعتمدة في المذهب الحنفي، مما يجعل حاشيته خزانة علمية ضخمة.

أهمية الكتاب ومكانته

١. **المرجع المعتمد للفتوى :**يُعتبر الكتاب العمدة الأساسية والمرجع الأول للمفتين والقضاة في المذهب الحنفي في العصور المتأخرة وإلى يومنا هذا.
٢. **موسوعة شاملة :**يجمع الكتاب شتات المسائل الفقهية المنثورة في عشرات الكتب، وينظمها ويعرضها بأسلوب علمي محكم.
٣. **خلاصة المذهب :**يمثل "رد المحتار" خلاصة قرون من تطور الفقه الحنفي، حيث وقف ابن عابدين على نتاج من سبقه فهذّبه ونقّحه ورجّح فيه.
٤. **مرجع للباحثين :**لا يستغني عنه أي طالب علم أو باحث متخصص في الفقه الحنفي بشكل خاص، والفقه المقارن بشكل عام.

محتويات الكتاب وأبوابه

يسير الكتاب على الترتيب التقليدي للكتب الفقهية، حيث يبدأ بـ:

- **كتاب الطهارة**
- **كتاب الصلاة**
- **كتاب الزكاة**
- **كتاب الصوم**
- **كتاب الحج**

ثم ينتقل إلى أبواب **المعاملات** (البيوع، الإجارة، الرهن...)، ثم **الأحوال الشخصية** (النكاح، الطلاق، الرضاع...)، ثم **الجنايات والحدود**، وينتهي بـ **كتاب القضاء والشهادات** وغيرها من الأبواب الفقهية.

طبعات الكتاب

طُبع الكتاب طبعات عديدة، قديمة وحديثة. من أشهر الطبعات القديمة طبعة بولاق في مصر، ومن الطبعات الحديثة المحققة التي تتميز بجودة

الطباعة والفهارس الشاملة التي تخدم الباحثين. وغالباً ما يُطبع المتن والشرح والحاشية معاً، حيث يوضع متن "تنوير الأبصار" وشرحه "الدر المختار" في أعلى الصفحة، وتأتي حاشية ابن عابدين "رد المحتار" في الأسفل.

خلاصة:
حاشية ابن عابدين ليست مجرد شرح لكتاب، بل هي صرح فقهي شامخ، وموسوعة علمية متكاملة، ونقطة تحول في تاريخ تدوين الفقه الحنفي، حيث أصبحت المرجع الذي لا يُستغنى عنه لكل من أراد معرفة القول المعتمد في المذهب.

🏛️حاشية ابن عابدين: الصرح الفقهي الشامخ وعمدة الفتوى في المذهب الحنفي

إذا ذُكر فقه المتأخرين من الحنفية، فلا بد أن تُذكر **حاشية ابن عابدين**؛ فهي ليست مجرد كتاب، بل هي مكتبة فقهية متكاملة، وخلاصة قرون من البحث والتحقيق والترجيح، والمرجع الذي استقر عليه العمل والفتوى في المذهب الحنفي على امتداد العالم الإسلامي.

👨‍🏫من هو المؤلف: خاتم المحققين

هو الإمام العلامة الفقيه **محمد أمين بن عمر الشهير بـ "ابن عابدين" الدمشقي** (١١٩٨ هـ - ١٢٥٢ هـ). فقيه من الطراز الرفيع، وُصف بأنه **"خاتم المحققين"**، دلالة على أنه بلغ الغاية في التحقيق والتدقيق العلمي في عصره. جمع بين سعة الاطلاع، وعمق الفهم، والقدرة الفائقة على التحرير والترجيح، فكانت حاشيته بحق تتويجاً لمسيرته العلمية الفذة.

🧱بنية الكتاب: حاشية على شرح على متن

لفهم عظمة هذا العمل، يجب أن ندرك بنيته الهندسية الفريدة، فهو يمثل الطبقة الثالثة والأوسع في صرح فقهي متكامل:

١. **المتن (الأساس): "تنوير الأبصار"**

- للإمام محمد التُمُرتاشي الغزي. وهو نص فقهي مختصر ومركّز يجمع أصول المسائل في المذهب.

٢. **الشرح (البنيان): "الدر المختار"**

- للإمام علاء الدين الحَصكَفي. وهو شرح للمتن يفكّ عباراته ويوضّح غوامضه ويضيف بعض الفروع والتفصيلات.

٣. **الحاشية (التحفة المعمارية): "رد المحتار على الدر المختار"**

- وهي عمل ابن عابدين. لم تكن مجرد تعليقات هامشية، بل هي بحر زاخر من التحقيقات العلمية التي حوّلت الشرح إلى موسوعة فقهية لا مثيل لها.

⚖️منهجية ابن عابدين: فن التحقيق والترجيح

يكمن سر تفوق "رد المحتار" في المنهجية العلمية الدقيقة التي اتبعها مؤلفه، والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- **الشرح والتوضيح :**يفكك العبارات الموجزة في "الدر المختار"، ويوضح ما قد يُشكل على القارئ.
- **الاستدلال والتعليل :**لا يكتفي بذكر الحكم، بل يدعمه بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة المذهب، معللاً ومفصّلاً.
- **النقل الواسع والأمين :**ينقل عن مئات المصادر المعتمدة في المذهب، مما يجعل حاشيته خزانة علمية تحفظ تراث من سبقه.
- **عقد المقارنات :**يعرض الروايات والأقوال المختلفة داخل المذهب في المسألة الواحدة، ويقارن بينها.
- **الترجيح وتحديد المفتى به (أهم ميزة) :**يقوم ابن عابدين بفلترة الأقوال، والموازنة بينها، ثم يحدد بوضوح القول الراجح والمعتمد للفتوى، مستخدماً عبارات مثل: "وبه يفتى"، "وعليه العمل"، "وهو الصحيح". هذا جعل كتابه دليلاً عملياً للمفتين والقضاة.

- **الاستدراك والتصحيح :**ينبّه على بعض الأوهام أو الأخطاء التي قد تكون وردت في كتب السابقين، مما ينم عن دقة وتمكن لا نظير لهما.

✨الأهمية والمكانة العلمية

اكتسبت حاشية ابن عابدين مكانة فريدة لم يرقَ إليها كتاب آخر للمتأخرين في المذهب الحنفي، وذلك لعدة أسباب:

١. **المرجع الأول للفتوى :**أصبحت العمدة التي لا يُعدل عنها في الإفتاء والقضاء في معظم بلاد العالم الإسلامي التي تتبع المذهب الحنفي.
٢. **موسوعة جامعة :**جمعت شتات المذهب وأقوال علمائه في مكان واحد، مع التنظيم والتحقيق والترتيب.
٣. **نقطة استقرار المذهب :**يعتبرها الكثيرون الكتاب الذي استقر عليه المذهب في صورته النهائية، حيث لخصت نتاج قرون من التطور الفقهي.
٤. **مرجع للباحثين :**لا غنى لأي باحث أو طالب علم متخصص في الفقه الحنفي أو الفقه المقارن عن الرجوع إليها.

🧐نظرات نقدية وتقييم

رغم مكانة الكتاب العظيمة وإجماع الأمة على قيمته، يوجه بعض الباحثين المتخصصين بعض الملاحظات النقدية التي لا تقلل من قيمته، بل تضعه في إطاره الصحيح:

- **التعقيد والصعوبة :**الكتاب ليس للمبتدئين. لغته علمية دقيقة، وعباراته مركزة، ويفترض في قارئه خلفية فقهية متينة، مما قد يجعله عسيراً على غير المتخصص.
- **التركيز على فقه المتأخرين :**يرى البعض أن ابن عابدين، كغيره من المتأخرين، قد يرجح أقوال فقهاء المذهب المتأخرين على حساب

أقوال الأئمة المؤسسين (أبي حنيفة وصاحبيه)، وإن كان ذلك يتم بناءً على أصول الترجيح المعتمدة في المذهب.

- **خطر الجمود الفقهي :**بسبب المكانة الهائلة التي حازها الكتاب، قد يؤدي الاعتماد الكلي عليه إلى نوع من الجمود، حيث يكتفي البعض بالنقل منه دون محاولة النظر في الأدلة أو مراعاة تغير الأعراف والأحوال، وهو ما حذر منه ابن عابدين نفسه في مقدمته.

🏆الخاتمة: إرث لا يموت

في نهاية المطاف، تظل **حاشية ابن عابدين "رد المحتار "**عملاً فقهياً عبقرياً، ومنارة علمية أضاءت ولا تزال تضيء طريق السالكين في دروب الفقه الحنفي. هي بحق ديوان المذهب، وخلاصة عقول فقهائه، والمرجع الذي لا غنى عنه لكل من أراد فهم تفاصيل هذا المذهب العريق والعمل بما استقر عليه من أحكام.